حكم تعليق الزينة لاستقبال رمضان؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اعتاد بعض المسلمين على استقبال شهر رمضان والاستعداد له من خلال تزيين الشوارع والأسواق والبيوت بزينة خاصة، وتعليق المصابيح والفوانيس، بالإضافة إلى الستائر والأقمشة وسفرات الطعام المزخرفة، بما يسمونها بالزخارف الإسلامية.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تطور الأمر لدى بعضهم إلى تخصيص جزء من المنزل، كغرفة أو صالة أو ركن، لتزيينه بشكل كامل طوال شهر رمضان، حيث يتم طلاء السقف والجدران وفرش الأرضيات والستائر والكراسي والطاولات بزينة رمضانية.

ليصبح هذا المكان المخصص مركزًا لقراءة القرآن، أو للإفطار والسحور، أو للجلوس مع الضيوف، أو للعبادة، أو لكل هذه الأغراض معًا. ويرى البعض في ذلك تعبيرًا عن تحويل منازلهم إلى فضاء رمضاني مميز.

كما امتد هذا التقليد الأعمى إلى موائد الإفطار والسحور، حيث أصبحت الطاولات والكراسي والأواني والأطباق وحتى بعض الأطعمة تأخذ أشكالًا رمضانية، مثل الهلال أو القبة أو المحراب. ولا يقتصر الأمر على الأفراد، بل يتنافس أصحاب المتاجر والمنازل في تقديم أحدث أشكال الزينة لجذب انتباه الزبائن والضيوف.

وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، فمن انشغل بهذه الزينات والتعليقات كان نصيبه من العبادة والتقوى والطاعات قليلًا.

ولسنا بأحب لرمضان ولا أفرح به من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ومع ذلك لم نرَ في سيرتهم مثل هذه الاحتفالات والمظاهر الزخرفية. بل كان شغلهم

الشاغل هو التقرب إلى الله وزيادة الحسنات ورفع الدرجات. لذلك، ينبغي لنا أن نقتدي بهم ونسير على هديهم.

علمًا أن تزيين الشوارع والمنازل والمتاجر بهذه الطريقة ليس من السنة، ولم يكن معروفًا في عهد السلف. بل إن هذه العادة منتشرة بين أصحاب الديانات الأخرى، مثل النصارى والهندوس والبوذيين، في مناسباتهم الدينية. وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من التشبه بهم، حيث قال: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ).

فهم أهل الزينة والزخارف والرسومات، وانظر إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أمرت بتشييد المساجد).

قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى. رواه أبو داود (٤٤٨).

فكيف إذا علمنا أن الصوفية والشيعة الرافضية- وخاصة الدولة العبيدية الباطنية- هم أول من أدخل هذه العادة إلى بلاد المسلمين. وقد وصفهم المؤرخون بأنهم قلبوا الإسلام وأظهروا الرفض وأبطنوا مذهب الإسماعيلية. وقد أجمع علماء القيروان على أن حالهم كحال المرتدين والزنادقة.

قال عنهم الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤١): (العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعاة، يستغوون الجبلية والجهلة).

فأتباع هؤلاء هم الجهلة في كل زمان ومكان.

وقد سئل أبو محمد بن الكراني من فقهاء القيروان عن من أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد بهذا، إلا من كان أول دخولهم البلد. فيسأل إن يعرف أمرهم، وأما بعد، فقد وجب الفرار، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع، لا يجوز.

وقال أبو يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه: أجمع علماء القيروان... أن حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة، بما أظهروه من خلاف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل. فيقتلون بالزندقة، قالوا: ولا يقدر أحد بالإكراه على الدخول في مذهبهم، بخلاف سائر أنواع الكفر. لأنه أقام بعد علمه بكفرهم.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٧/ ٢٧٦).

فهل هؤلاء المرتدون أهلٌ لئن يقتدي المسلمون بهم في مثل هذه الأمور؟!

وانظر إلى قول أبي محمد بن الكراني عن من أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد بهذا.

ثم انظر إلى مسارعة كثير من المسلمين إلى التشبه بهم في عباداتهم وعاداتهم!

كما يجب على المسلم الحصيف أن يحذر من الوقوع فريسة لتجار الدنيا الذين لا يهتمون إلا بزيادة أرباحهم، دون اعتبار لاستقامة ديننا أو آخرتنا.

فهم يغرون الناس بشراء المزيد من البضائع الزخرفية في كل موسم، مما يؤدي إلى إهدار الأموال في أمور لا فائدة منها.

أما الجواب على من يقول: بأن هذه الزينات أو التعليقات من أمور العادة وليست من أمور العبادة، فهي تعبير عن الفرح بقدوم رمضان وهذا مباح، قياسًا على الأطعمة والأشربة التي تؤكل أو تشرب في رمضان خاصة.

فيقال: الفانوس في رمضان، أصبح شعارًا عليه، وهو إلى البدعة أقرب من الإباحة، وأوّل من أحدثة العبيديون في مصر عندما قدم الفاطمي إلى القاهرة عام ٣٩٢هـ، فأمر الناس بتعليق الفوانيس على المساجد والطرقات في رمضان خاصة، فأصبح من وقتها من الشعائر السنوية في شهر رمضان.

فكيف يقاس هذا على الطعام والشراب المباح؟!

روى الدارمي (٢٠٤) عن عمرو بن سلمة قَالَ: (كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري؟ لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج).

وفي الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٤٩٥) عن أبي البختري قال: (أخبر رجل عبدالله بن مسعود أن قومًا يجلسون في المسجد بعد المغرب، وفيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا، وسبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، فقال عبدالله: فيقولون؟! قال: نعم. قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم؛ فأتاهم وعليه برنس، فجلس فلما سمع ما يقولون؛ قام وكان رجلًا حديدًا، فقال: أنا عبدالله بن مسعود، والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علمًا، فقال: مِعْضَد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء، ولا فضلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علمًا. فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبدالرحمن! نستغفر

الله. قال: عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سَبقتم سَبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لَتَضِلُّوا ضلالًا بعيدًا).

وعن أبي العالية الرياحي، كما في السنة للمروزي (١/ ٢٩) قال: (تعلموا الإسلام، فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تحرفوه يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، والذي كانوا عليه من قبل أن يقتلوا صاحبهم ويفعلوا الذي فعلوا).

فاللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف الأحوال، اصرف أحوالنا إلى طاعتك.

اللهم ارزقنا اتباع سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، واجعلنا من المهتدين بهديه، المتبعين لسنته، المحبين له ولصحابته الكرام.

اللهم جنبنا البدع والضلالات، ووفقنا للتمسك بالحق والهدى، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ونسألك الثبات على الحق حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.